بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وسائر المرسلين ، والصحابة أجمعين .

وبعد ..

فهذه الدراسة كنت أعددتها للذين يجهلون ما للإسلام من حضارة عظيمة ، بين المسلمين وغير المسلمين ، وخشية أن يقال إنها كلمات يهتف بها المسلم لدينه جعلتها مقتطفات خطتها أقلام فلاسفة النصارى الغربيين فى بلاد فيها حرية الكلمة مكفولة ، وقد وردت فى أطر دراسات علمية من ذوى التخصص ، بعيداً عن آفاق المجاملات .

وهى دراسة تكميلية لما كتبه « چورچى زيدان » بعنوان « التمدن الإسلامى » ، وهى كشف للمجهول من تاريخ حضارى مطموس فى بلادنا الشرقية .

وقد تناولت فى هذه الدراسة كل ما يهم الدارس فى غير إطناب وجعلتها فى فصول خمسة :

الفصل الأول : الدين والمدنية .

وفيه يتضح أنه أساسها وأنه ذو دور حضارى . وأجبت عن سؤال مما أجابه الغربيون عن « هل يتفق الإسلام والمدنية الحديثة » ؟ وعن عوامل انتشار الإسلام ، ومنزلة العلماء فى الإسلام ، وعن ظواهر التمدين وحقيقته .

الفصل الثانى : المظاهر الحضارية .

وفيه يتبين أن الخُلُق الحميد عنصر حضارى ، وأن الحضارة الإسلامية ذات تأثير حتى اليوم ، فمبادئ الحرية والعدالة والمساواه ، ورفض التبعية والتقليد

والاهتمام بالعلوم الكونية ، والتخطيط للحياة وللمدن والقرى والطرق التجارية ، وترقية الزراعة والصناعة والتجارة ، واللغة والأعياد والألقاب وآداب الكتابة كلها فى العالم قاطبة - والغرب خاصة - وليدة الصلة بالإسلام .

الفصل الثالث : تحضير الإسلام للغرب .

وفيه تناولت بأقلام الغرب بيان حال الغرب عند الفتح الإسلامى ، وترجمة العلوم العربية إلى اللغات الأجنبية وبالعكس ، وكيف واجه العرب المدنية اللاتينية ؟ وما يقال عن تعارف الإسلام والمسيحية وعن ممالك الإسلام التى كانت واحات للحرية ، ثم كيف صوَّر الغربيون الأمناء حرب الحقد المسيحى للإسلام والمسلمين .

الفصل الرابع : الإسلام والعلم

وفيه قال أولئك الباحثون النصارى أن الإسلام هو الذى منح العلوم لأوروبا بكرم وسخاء ، وليست إيطاليا . فقد منحوها ما لديهم من رياضيات وملاحة وكشوف جغرافية وفنية ، ولا عجب أن كان العرب أرباب الاختراع فى كل العلوم . فالدين هو منشىء العلوم الكونية بطبيعته التى لم يطمسها الحَجْر الكنسى الذى يفصل بين الدين والدنيا . فمن العرب كانت أفضل دراسات الطب ، وكان من أعمال البيمارستان إجراء البحوث الطبية والصيدلانية ، وكان لبناء المستشفيات تصميم خاص ، يبدأ باختيار الموقع الصحى . وهناك تنوع تعليمى ، فالكتاتيب ، ثم حلقات المسجد ، ثم الحلقات الخاصة والمناظرات . وكان هناك تسجيل دقيق للحاضرين حلقات المسجد ، ورحلات علمية ، ومكتبات تؤدى فيها خدمات لم يُسبق وجود مثلها . حتى تطورت المكتبات إلى مؤسسات .

وقد احتوت الثقافة الإسلامية ثقافة اليونان فأصلحت ما كان خطأ وأضافت ما يحسن الانتفاع بذلك التراث .

الفصل الخامس : دين نهضة وأدب .

وفيه بيّن هؤلاء الغربيون أن الإسلام ضد الجمود ، ولهذا كانت حركات التجديد الدينى دليلاً على ذلك ، فظهرت حركة الإخوان عام ١٩١٠ بالسعودية فكان ثمارها الحكم طبقاً للتوجه الوهابى ، وظهرت حركة الإخوة الستوسية التى صحبتها نزعة الجهاد ، كما ظهرت حركة الإخوان المندية .

ويقابل هذه الحركات الجهادية حركات هدّامة هى « البابية » ثم « البهائية » التى قاومها الإخوان المسلمون فكرياً .

ولما كان الأدب - شعراً ونثراً - مظهر حضارى يتواكب والفكر المثقف والمشاعر اليقظة ، فقد كان لهما ظهور بارز فى المشرق والمغرب . وكان لهما تأثير على الأدب الأوروبى بعامة ، وعلى الأسبانى والبرتغالى بخاصة .

وإنك لتجد حتى اليوم كثيراً من الكلمات ذات أصل عربى ، بل وكثيراً من العادات الأسبانية والريفية لها نظيرها فى شمال إفريقيا ، كما جاء فى حوار أقامه الشيخ الفضيل الورتلانى مع الجنرال فرانكو يوم كان حاكم أسبانيا .

والحق أقول : إن العالِم الجهبذ يحترم نفسه ويتحرى الحقائق العلمية ، فهى فوق الأهواء والطائفية والمذهبية ، يوصف صاحبها بأنه شريف الكلمة صادقها ، جرىء القلب ذو عظمة يتميز بها بين قومه .

اسأل الله أن ينفع بهذه الدراسة كل قارىء وباحث ، وأن يثير بها همم الكسالى ، ويجمع بها شمل الوطنيين . فالإسلام شرف العروبة وأهم مقوماتها مهما كان الانتماء الدينى .. والله الموفق ، وهو المستعان .

د . عبد المتعال الجبرى

* * *